

الهجرة في ميزان الأحداث و"الدياسبورا" اللبنانية لبكي: خطرها على الكيان وإفراغ لبنان من نخبه

تميز لبنان تاريخيا بالهجرة، حتى انتشر ابناؤه في كل القارات والدول، فلا تخلو دولة او حتى جزيرة نائية على مساحة المعمورة من وجود لبناني فيها، كانت له يد بيضاء في النهوض والامناء والتطور اينما حل

الهجرة اللبنانيين ظروف واسباب ومراحل متنوعة، منها القسري والقهري، ومنها الارادي التابع من الطموح والبحث عن مجالات اوسع واشمل. الا ان المرحلة الاخيرة شهدت موجة من الهجرة، اذ فاق عددها المئة الف بكثير كان اكبرها في العام 2019. كلما سنحت الفرصة للشباب اللبناني يسارع الى الهجرة، بما ان العدد مرتبط بتوافر الفرص مع وجود راغبين كثر في الهجرة لاسباب مختلفة، ابرزها الازمة الاقتصادية الحادة، والوضع السياسي والمؤسسي غير المستقر، وانعدام الخدمات الاساسية لتسيير شؤون الناس مثل الكهرباء والمحروقات والطبابة والدواء، وصولا الى تدهور القطاع التعليمي وعدم قدرة عائلات لبنانية على تعليم ابنائها حتى في المدارس الرسمية، ناهيك بالاحباط الناجم عن انعدام امكان التغيير.

لكن الاخطر هو ظاهرة هجرة الادمغة من اطباء ومهندسين واصحاب مهارات ومهن وخريجين جامعيين، ما يعني خسارة لبنان الموارد والمهارات البشرية، فيما بات السعي الى الهجرة هو حلم الجميع ما سيؤدي الى تغيير جذري في التكوين الطبقي والاجتماعي، مع ارتفاع نسبة الفقر واختفاء الطبقة الوسطى التي تعتبر المحرك الاساسي للمجتمع. اللافت ايضا، ان النسبة الاكبر من المهاجرين تتراوح اعمارهم بين 40 و45 سنة اي انهم في عمر الانتاج، وخسارة هذه الفئة العمرية نتيجة ارتفاع نسبة البطالة من جراء انعدام فرص العمل يصعب تعويضها، علما ان من يبقى في لبنان يتحول تدريجا الى منتظر لتحويلات اقاربه في الاغتراب لكي يستمر في العيش. الاجدر في الاضاعة على قضية الهجرة

اللبنانية هو الدكتور بطرس لبكي الذي احتل مناصب مهمة في الادارة العامة والجامعات البارزة في لبنان، والف كتبها عدة عن التنمية، وتطرق الى موضوع الهجرة في كتاب هو اشبه بموسوعة تستند الى الابحاث والارقام الدقيقة التي تصلح كمرجع تستطيع مؤسسات الدولة ومراكز الابحاث والجامعات الركون اليه لبناء هيكل حقيقي لازمة الهجرة اللبنانيين. وهو تحدث الى "الامن العام" عن مراحل الهجرة واسبابها وتأثيراتها ومخاطرها على الكيان، وشرح السبل الكفيلة بعودة المهاجرين.

■ ماذا عن مراحل الهجرة اللبنانية تاريخيا؟
□ يمكن ان نقسمها الى 6 مراحل:
1- المرحلة العثمانية حيث كانت الهجرة الى الولايات المتحدة والارجنتين ومصر، وهي اساسا من جبل لبنان ومن بعض مناطق الجنوب والشمال والبقاع، وسببها تدهور الزراعة في هذه المناطق، وتحديدًا تراجع زراعة الحرير وانتاجه. كان عنصر الجذب في تلك الحقبة نمو اقتصاد الولايات المتحدة الاميركية بعد الحرب الاهلية عام 1870، وكذلك الامر بالنسبة الى مصر والنمو الاقتصادي بعد افتتاح قناة السويس، والنمو الاقتصادي السريع في الارجنتين مع تطور الملاحة البحرية البخارية.

2- هي الحرب العالمية الاولى حيث توقفت الهجرة عمليا بسبب الحصار الذي ضربه الحلفاء على الشواطئ اللبنانية، وبسبب المنع العثماني للهجرة ايضا.
3- مرحلة الانتداب (1920 - 1943)، وهي مرحلة اعادة نمو الهجرة مع عودة مهاجرين بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى



الدكتور بطرس لبكي.

قليلة، لتعود تاليا الى النمو عام 1994 بعدما تراجع الوضع الاقتصادي كثيرا في لبنان بسبب السياسات المالية والنقدية التي مارستها الحكومات ورفع الفوائد ورفع سعر صرف الليرة، مما حد من الصادرات وشجع المستوردات وضرب الاقتصاد الوطني الصناعي والزراعي وغيره، فنمت الهجرة بشكل سريع جدا. هذه الفترة من العام 1994 الى الحقبه الحالية، شهدت النسبة الاكبر من الهجرة.

■ كيف اثرت الهجرة على الوضع في لبنان من مختلف النواحي، ايجابيا وسلبيا؟
□ التأثيرات السلبية هي حرمان لبنان من قوى عاملة فنية ومعلمة كانت تدرس على نفقة الاهالي والدولة، وعندما دخلت مجال الانتاج ذهبت واغنت الدول المستضيفة للهجرة. ثم انعكس ذلك على التركيبة السكانية، اذ ان الهجرة كانت في اكثرها ذكورية، فاختلف الميزان بين الذكور والنساء وزادت العنوسة وانخفض الانجاب، فكان تأثيرا ديموغرافيا واقتصاديا سلبيا. اما الايجابيات فهي معروفة لجهة العائدات التي كان يرسلها المغتربون الى ذويهم والتي ساهمت اولا في تأمين معيشة الذي بقوا

شهدنا من العام 1994 حتى الان النسبة الاكبر من الهجرة

سبل قانونية تساعد في عودة المهاجرين، من تأمين استقلالية فعلية للقضاء وتقوية القضاء وتفغيله لاقرار حكم القانون في لبنان، وذلك اساسي في تشجيع المهاجرين للعودة. لن يعود احد ليستثمر في لبنان اذا لم تكن فيه دولة قانون ومؤسسات.

• السبل الاقتصادية، وهذا يتطلب اعادة هيكله القطاع المصرفي العام والخاص لكي تعود الثقة الى المصارف اللبنانية، واساسا لكي يوجد حل عادل لوضع المودعين في المصارف اللبنانية. لا احد سيدفع اموالا في المصارف اللبنانية من المقيمين وخصوصا من المغتربين، مع ما جرى من سلب للودائع في المصارف.

• يجب اعادة تشغيل البنية التحتية في كل المجالات، وتحديدًا في الكهرباء والهاتف والنقل العام والخاص والتعليم المهني العام والخاص والقطاع السياحي. كل هذه البنية التحتية ينبغي اعادة استكمالها وتفغيلها لكي تؤمن امكانات النمو الاقتصادي في لبنان.

• الى جانب اعادة تفعيل البنية التحتية، يجب اطلاق خطة تنمية اقتصادية - اجتماعية تحوّل الاقتصاد اللبناني من اقتصاد ريعي الى اقتصاد منتج، ما يعني وجوب اعادة تنمية القطاعات المنتجة للسلع وبعض الخدمات كالزراعة والصناعة والانتاج الحيواني وتقنيات التكنولوجيا واقتصاد المعرفة والقطاع السياحي وتنويعه بالفروع المختلفة في جميع المناطق. هذه هي السبل الاساسية لعودة المهاجرين.

■ هل يمكن استقطابهم عبر توفير الضمانات للاستثمار؟
□ هناك شروط اساسية لذلك:

اولا: الاستقرار السياسي والاقتصادي الى لبنان وعودة حكم القانون والمحاسبة واستقلالية السلطة القضائية.
ثانيا: انتظام الحياة السياسية والاقتصادية عبر اجراء الانتخابات في مواعيد محددة تفرز نخبا جديدة. ◀

ثالثاً: هناك ضمانات من خلال حكم القانون يجب ان توفر للمغتربين الراغبين في التثمين، خاصة في بعض المناطق مثل الشمال واقسام من جبل لبنان والبقاع والجنوب، لتقليم اظافر الطقم السياسي التقليدي الذي يبتز بعضه المغترب ويطالب بمشاركته في الاستثمارات من دون ان يدفع حصته. كل ذلك لجم استثمار الاغتراب ويجب ان تنتهي هذه الحالات، اذ يجب حماية المغتربين من تجاوزات السياسيين.

رابعاً: اعادة هيكلة القطاع الخاص العام وخصوصا القطاع المصرفي، لكي يثق المغتربون بالمصارف اللبنانية وبالنظام

المصرفي والمالي اللبناني، وذلك يبدأ باعادة الهيكلة وحل عادل لحقوق المودعين في المصارف اللبنانية.

خامساً: تأمين ظروف استثمار جيدة مثل مناطق صناعية مجهزة، ومناطق لاقتصاديات المعرفة والمعلوماتية. كل اقتصاديات المعرفة المفتوحة امام اللبنانيين يجب ان تكون مجهزة وموجودة في كل مراكز المحافظات ومراكز الاقضية والمناطق المهمة.

سادساً: يجب حماية الانتاج الوطني من الاغراق الاجنبي وفتح اسواق الخارج، خاصة في المشرق العربي كاولوية، وكذلك اسواق مناطق اخرى من العالم العربي والخارجي.

هذه سبل استقطاب المغتربين من خلال توفير فرص الاستثمار.

■ هل الهجرة نتيجة احداث داخلية ام جزء من تاريخ الدياسورا اللبنانية؟
□ الاثنان معا. ثمة اسباب داخلية ادت الى الهجرة، منها الحروب الاهلية والتراجع الاقتصادي وحكم العثمانيين والانتداب والحرب، والسياسات السيئة الاقتصادية والمالية والتجارية، والصراع العربي - الاسرائيلي والاميركي - الايراني، هذه هي العناصر الدافعة للهجرة. لكن هناك عناصر جاذبة للهجرة هي طفرة النفط في الستينات والسبعينات والنمو الاقتصادي في الخليج وافريقيا، ووجود الدياسورا اللبنانية في بلدان المهجر التي تجذب اللبناني عبر ابن عائلته وبلدته ومنطقته الموجود في المهجر الذي يدعوه الى المجيء ويساعده في بداية حياته هناك.

■ ماذا اضيف على الهجرة من مسببات في خلال السنوات الخمسين الماضية؟
□ ذكرنا جزءا من هذه المسببات، ابرزها طفرة النفط والحروب بين عامي 1975 و1990 والسياسات المالية والاقتصادية للدولة بعد التسعينات، وتفاقم الصراع العربي - الاسرائيلي والان تفاقم الصراع الايراني - الاميركي والاسرائيلي، كل ذلك ساهم في الهجرة في السنوات الخمسين المنصرمة.

■ هل من خطر على الكيان اللبناني جراء هذه الهجرة؟
□ طبعا هناك خطر على الكيان اللبناني. الخطر الاهم هو افراغ لبنان من نخبه الفكرية والمهنية والاقتصادية ومن الرساميل، ما يساعد في احلال وتوطين النازحين الفلسطينيين وعدم عودتهم عبر حرمانهم من حق العودة، وكذلك في تثبيت النازحين السوريين، كل ذلك يشكل خطرا على الكيان اللبناني.



تصميم . إنجاز . مثابرة



تمثال المغترب عند مرفأ بيروت.